

الفصل الثالث

الشعر

١

كثرة الشعر والشعراء المخضرمين

تزخر كتب الأدب والتاريخ بما نُظِم من أشعار في صدر الإسلام ، وهي أشعار كثيرة ، نلقاها في كل ما يصادفنا من أحداث العصر ، فليس هناك حدث كبير إلا ويواكبه الشعر ويرافقه ، وكان أكبر الأحداث دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وهي دعوة اضطرتته إلى حمل السيف للذبياد عنها ، وانقسم العرب بإزائها مؤمنين ومشركين فكان هناك من آمنوا وحسُنَ إيمانهم ومن وقفوا يدافعون عن الدين القديم ويصدون عن سبيل الله ، وكل ذلك نجده ماثلاً على ألسنة الشعراء . واستقام أمر الإسلام في الجزيرة ، غير أن أقواماً ارتدوا لعهد أبي بكر ، فحاربهم ومثّل الشعر هذه الحرب ، ثم كانت الفتوح ، فانطلق العرب يحملون مشاعل الإسلام إلى العالم وهم يُنشدون أناشيد الجهاد . وتلت ذلك فتنة عثمان وحروب على وطلحة والزبير وعائشة من جهة وحروب على ومعاوية من جهة ثانية ، فعَلَّتْ أصوات الشعراء وتصايحوا بأشعارهم في كل مكان .

ومضى كثيرون ينظمون في هذا العصر لامع الأحداث ، بل مع أنفسهم وقيائلهم مستضيئين إلى حد كبير بالإسلام وهدّيه الكريم . فالشعر لم يتوقف ولم يتخلف في هذا العصر ، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه كانوا يعيشون من قبله في الجاهلية وكانوا قد انحلت عقدة لسانهم وعبروا بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم ، فلما أتمّ الله عليهم نعمة الإسلام ظلوا يصطنعونه وينظمونه . وقرأ في كتب الأدب والتاريخ مثل الأغاني والطبرى وسيرة ابن هشام وكتب الصحابة مثل الإصابة والاستيعاب فستجد الشعر يسيل على كل لسان ، وقرأ في

المفضليات والأصمعيات فستجد المفضل الضبي والأصمعي يحتفظان في كتابيهما بغير مطولة للمخضرمين ، وقد عقد ابن قتيبة في الشعر والشعراء تراجم لكثيرين منهم ، وسلك ابن سلام في كتابه « طبقات فحول الشعراء » طائفة من مجوديهم البارعين .

ومن يرجع إلى كل هذه المصادر يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهراً في صدر الإسلام ، وليس بصحيح أنه توقف أو ضعف كما ظن ذلك ابن خلدون وتابعه فيه بعض المعاصرين إذ يقول في مقدمته : « انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخسروا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحى في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأتاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه ^(١) . وكأنه يجعل توقفهم عن الشعر مدة نزول الوحى لعصر الرسول ، وواضح أن هذا لا يصدق على المشركين لأنهم لم يُشغَلُوا بالدعوة ، ومعروف أن جمهور القبائل العربية إنما دخل في الإسلام بعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة . وإذن فانصرفهم عن الشعر — إن صح — إنما كان لمدة عامين أى إلى أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . وهو نفسه ينقض ما قاله في أول كلامه بما قاله في آخره من أن الرسول سمع الشعر وأتاب عليه ، ونحن نعرف أنه كان يقف بجانبه ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه ويردُّون على شعراء مكة وغيرهم من خصومه ذائدين مدافعين ، وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . وحتى في العامين الأخيرين من حياته عانى الوفود كان كل وفد يتقدم معه خطباؤه وشعراؤه ، وبمجرد أن يَسْأَلُوا بين يديه يتحدث خطباؤهم ويُششد شعراؤهم ويردُّ عليهم خطباء الرسول صلى الله عليه وسلم وشعراؤه ^(٢) .

ولعل الذى دفع ابن خلدون إلى كلامه السابق ما جاء عند ابن سلام وتناقله الرواة بعده من قوله : « فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب وتشاغلوا

(١) مقدمة ابن خلدون (طبعة المطبعة البهية) . (٢) أغاني (طبعة دار الكتب) ٤/١٤٦

بالجهاد وغزو فارس والروم ولبت (العرب) عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألنّوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير^(١) . وابن سلام إنما يقول ذلك ليدلّ على أن شعراً عربياً كثيراً ضاع من يد الزمن ، وكان يكفيهِ ما قاله من أنهم لم يدونوه وأنهم اكتفوا بروايته ، فإن من شأن الرواية إذا طال العهد بها أن لا تحتفظ بكثير من الشعر وأن يسقط منه غير قليل . أما قوله بأن العرب لبّت عن الشعر وشغلت عنه بالجهاد فينقضه ما تحمله كتب الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة ومن أسماء ناظميه .

وربما جاءت شبهة لإصغار العرب للشعر في صدر الإسلام وإعراضهم عنه من مهاجمة القرآن للشعراء في قوله تعالى : (والشعراءُ يتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا » . وواضح من نفس هذه الآيات أن القرآن إنما يهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول ويشبّطون عن دعوته . فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر ، وإنما هاجم شعراً بعينه كان يؤذى الله ورسوله ، وهو نفسه الذي قال فيه الرسول الكريم : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قَيْحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً »^(٢) أما بعد ذلك فإن الرسول كان يُعجَبُ بالشعر ويقول حين يسمع بعض روائعه : « إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحُكماً أو حكمة »^(٣) ، وكان يحضُّ حسان بن ثابت وغيره على نظمهم وشيبيهم . وكان بعض خصومه ممن توعدهم بتخاذه وسيلة إلى استرضائه وعفوه عنه ، على نحو ما هو معروف عن كعب بن زهير الذي أحفظه بأشعار مختلفة ندّد فيها بالإسلام ، ثم قدّم عليه فأنشده لاميته المشهورة يطلب الصفح عن إساءته ، فهلّل وجهه بشراً وخلع عليه برُدته^(٤) .

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام (٣) العمدة ٩/١ .
 (٢) أغاني (طبعة الساسي) ١٥/٢١٥ وما بعدها .
 (٣) العمدة لابن رشيّق (الطبعة الأولى) ١٢/١ .
 (٤) أغاني (طبعة الساسي) ١٥/٢١٥ وما بعدها .

والحق أن الإسلام لم يردَّ العرب عن الشعر ونظمه ، وسرى عما قليل أن الرسول عليه السلام اتخذه سلاحاً ماضياً ضد خصومه من مشركى قريش وأعداء رسالته ، إذ كان يرى أن وقع نبئه عليهم أشد من وقع الحسام^(١) . وكان الخلفاء الراشدون من بعده يرددونه دائماً على ألسنتهم^(٢) ، كما كان صحابته كثيراً ما يتناشدونه في المسجد^(٣) . وقد اشتهر عمر بن الخطاب بأنه كان كثيراً ما يسأل وفود القبائل عن شعرائهم ، وكانوا ينشدونه بعض أشعارهم وقد ينشدها هو متعجباً مستحسناً^(٤) ، ويقال إنه كتب إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة : « مُرَّ مَنْ قَبْلَكَ بتعلم الشعر فإنه يدل على معالى الأخلاق وصواب الرأى ومعرفة الأنساب »^(٥) ، ويقول ابن سلام إنه « كان لا يكاد يعرض أمر إلا أنشد فيه بيت شعر »^(٦) .

وكل ذلك معناه أن الإسلام لم يُشَبِّط عن الشعر إلا حين وقف معارضاً لدعوته ، أما بعد ذلك فقد كان يرتضيه ويستحسنه . وقد مضى الخلفاء الراشدون مهتدين بهدى الإسلام الحنيف ينهون عن الهجاء ويعاقبون فيه ، وقصة عمر بن الخطاب مع الخطيئة معروفة ، فقد حبسه حين أقذع في هجائه للزبير بن بدر ، ولما استرحمه على أفلاذ كبده بأبياته المشهورة عفا عنه ، بعد أن عاهدته على أن لا يعود إلى مثل هذا الهجاء^(٧) . واتبع عثمان سنة عمر في التشديد على من يسئلقون المسلمين بالسنة حداد ، وقصته مع ضابي بن الحارث البُرجمي مشهورة فقد هجا جماعة من الأنصار هجاء مقذعا أفحش فيه ، فاستعدوه عليه فحبسه ، وظل في حبسه حتى مات^(٨) .

٢٧٠/٥ وخزانة الأدب للبغدادى ٢/٢٩٢ .

(٥) العمدة ١٠/١ .

(٦) البيان والتبيين ١/٢٤١ .

(٧) أغاني (طبعة دار الكتب) ٢/١٨٥ .

(٨) ابن سلام ص ١٤٤ وانظر في ترجمة

ضابي أيضاً الشعر والشعراء ١/٣٠٩ والإصابة

٣/٢٦٧ والخزانة ٤/٨٠ والكامل للمبرد (طبعة

رايت) ص ٢١٩ .

(١) العمدة ١٢/١ .

(٢) راجع خطبة أبي بكر في السقيفة

وكتاب عثمان إلى علي حين حوضر ، وانظر ابن

سعد ٥٧/٦ .

(٣) طبقات ابن سعد (طبعة أوروبا) ج ١ ق ٢

ص ٩٥ - ٩٦ والفائق للزنجشري ١/٢٥٧ .

(٤) أغاني (طبعة دار الكتب) ٨/١٩٩ ،

١٠/٢٨٨ والعقد الفريد (طبعة لجنة التأليف)

ولكن هاتين القصتين شيء ونظم العرب للشعر حينذاك وروايته شيء آخر . فقد كانت حريتهم مكفولة في هذه الرواية وذلك النظم ما لم يتعرضوا للأعراض ، ومن الظلم للإسلام أن يقال إنه كَفَّ العرب عن الشعر ووقف نشاطه ، فقد كان يُنشدُ على كل لسان ، وساعدت الأحداث على ازدهاره لاعلى خمدوله سواء في معركة الإسلام مع الوثنيين والمرتدين أو في الفتوح أو في معركة على مع خصومه في العراق . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الإسلام أذكى جذوته وأشعلها إشعالا ، فإن أحداثه حَلَّتْ من عَقْدِ الألدنة وأنظقت بالشعر كثيرين لم يكونوا ينطقونه ، فإذا بنا نجد مكة التي لم تُعْرَفْ في الجاهلية بشعر كثير يكثر شعراؤها ، وإذا بنا لزاء عشرات من الشعراء في الفتوح لم يشهروا بالشعر ونظمه قبلها . وهم يسمون جميعاً مخضرمين من الخضرمة وهي الاختلاط لأنهم خلطوا في حياتهم بين الجاهلية والإسلام فعاشوا في العصرين معاً .

٢

الشعر في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

مما لا ريب فيه أن شعراء القبائل ظلوا ينظمون شعرهم بالصورة الجاهلية إلى أن دخلوا في الإسلام ، وكان الموت قد سبق إلى كثيرين منهم ، فماتوا قبل إسلامهم وحرى بهؤلاء أن يدخلوا في غمار الجاهليين ، فهم ليسوا مخضرمين بالمعنى الصحيح للخضرمة ، ومن ثمَّ كننا نخرج دُرَيْدَ بن الصَّمَّةِ والأعشى وأمية ابن أبي الصلت والأسود بن يعفر النهشلي وأخراهم من سَلِكِ المخضرمين وننظمهم في سلك الجاهليين ، لأن الموت أدركهم قبل أن يتمَّ الله عليهم نعمة الإسلام .

ومعروف أن قريشاً حدثت الله ورسوله حين بُعثت مما اضطره إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ، وسرعان ما نشبت بين البلديتين معركة حامية الوطيس ، تقف فيها قريش ومن يُعِينها من العرب في جانب ، ويقف الرسول صلوات الله عليه ومن هاجروا معه من مكة ومن التفتوا حوله في المدينة في جانب آخر . وبمجرد أن

اشتبكت السيوف أخذ الشعراء في الجانين المتناقضين يسدون ألسنتهم ، ولم تكن مكة في الجاهلية - كما قدمنا - تُعرفُ بشعر إلا بعض مقطوعات تُنسب لورقة ابن نوفل وغيره من المتحنفين ، ومقطوعات أخرى تنسب لبعض فتيانها مثل نبيته ومسافر اللذين ترجم لهما أبو الفرج في أغانيه . فلما نشبت الحرب بينها وبين الرسول لمعت فيها أسماء شعراء كثيرين مثل أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزبير وضرار بن الخطاب الفهري وأبي عزة الجمحي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وقد أخذوا يسدون سهام أشعارهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين وأنصاره من المدينة . وعز ذلك عليه لا لأنهم كانوا يهجونه فحسب ، بل أيضاً لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله بما يذيع من شعرهم في القبائل العربية ، فقال للأنصار : « ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسبان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله ما يسرني به ميقول بين بصرى وصنعاء »^(١) وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، فاحتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة . وقرأ في سيرة ابن هشام فستجده ينقل عن ابن إسحق عقب كل موقعة حربية ما قيل فيها من شعر ، تجد ذلك عقب غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة وعقب غزوة أحد في السنة الثالثة وغزوة الخندق في السنة الخامسة كما تجد أطرافاً من ذلك في فتح مكة للسنة الثامنة .

على أنه ينبغي أن نشك في كثير من هذه الأشعار لأن ابن إسحق - كما يقول ابن سلام - كان يحتمل كل غثاء من الشعر حتى أفسده وهجنه^(٢) ، ونرى ابن سلام يقول في ترجمته لأبي سفيان بن الحارث : « لسنا نعد ما يروى ابن إسحق له ولا لغيره شعراً ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهم »^(٣) . على أن ابن سلام نفسه يثبت لأبي سفيان بن الحارث قصيدة كافية ناقص بها في يوم أحد كافية^(٤) كان قد نظمها حسان بعد وقعة بدر^(٥) ، وقد

(١) أغاني ٤/١٣٧ .

(٢) ابن سلام ص ٢٠٦ .

(٣) ابن سلام ص ٨ .

(٤) ابن سلام ص ٢٠٧ وما بعدها .

أثبت لابن الزبير قصيدته التي قالها في نفس اليوم^(١)، والتي يقول فيها :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ضَجَرَ الخَزْرَجِ من وَقَعِ الأَسْلِ^(٢)
حين أَلَقْتُ بِقُبَاءِ بَرَكْهَا واستحَرَ القَتْلُ في عبدِ الأَسْلِ^(٣)
فقبلنا النُّصْفَ من سادتهم وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فاعتدل^(٤)

وأيضاً فإنه أثبت لأبي عزة ميمية يجرّس فيها بنى كنانة^(٥)، وقال عن هيرة بن أبي وهب : إنه كان شديد العداوة لله ولرسوله ، وهو الذي يقول في يوم أحد^(٦) :

قُدْنَا كنانةً من أكنافِ ذى يَمَنٍ عَرَّضَ البلادَ على ما كان يُزجِئها^(٧)
قالت كنانةٌ : أنى تدهبون بنا قلنا : النخيلَ ، فأموها وما فيها^(٨)

وكان في الطرف المقابل حسان وكعب وابن رواحة ، وحسان أشعر الثلاثة ، يقول ابن سلام : « وهو كثير الشعر جيده » ، ويقال إن أول ما جرى به لسانه حين سلّه على قريش هذه الأبيات يتحدّى بها أبا سفيان بن الحارث^(٩) :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجَزَاءُ
فإن أبى ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاءُ
أتهجوه ولست له بكفٍّ فشرُّكما لخيركما الفِداءُ

(٥) ابن سلام ص ٢١٣ .

(٦) ابن سلام ص ٢١٥ .

(٧) الأكناف : النواصي . ذويمين : موضع

قريب من مكة . يزجى : يسوق ويدفع .

(٨) يريد بالنخيل المدينة لكثرته فيها .

أموها : قصدوها .

(٩) أغاني ١٣٩/٤ والاستيعاب لابن عبد البر

ص ١٢٩ .

(١) ابن سلام ص ١٩٨ وما بعدها .

(٢) أشياخه ببدر : من قتلوا بها من مشركي

قريش . الأسل : الرماح .

(٣) قباء : موضع بضواحي المدينة . أَلَقْتُ

الحرب بركها : حمى وطيسها . استحرق القتل :

اشتد وكثر .

(٤) قبلنا النصف : انتصفنا بمن قتلناه منهم

لقتل بدر .

ويقول ابن سلام : « وكعب شاعر مجيد ، قال يوم أُحُدٍ في كلمة :

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ	أَحَابِيْشٌ مِنْهُمْ حَابِرٌ وَمَقْنَعٌ ^(١)
ثَلَاثَةٌ آلَافٌ وَنَحْنُ نَصِيْبَةٌ	ثَلَاثُ مِثَالٍ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعٌ ^(٢)
فَرَاخُوا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَانَهُمْ	جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعٌ ^(٣)
وَرُخْنَا وَأُخْرَانَا بِيْطَاءُ كَانُنَا	أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْبِشَةٌ ظُلْعٌ ^(٤)

وقال في أيام الخندق :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرْعِبِلُ بَعْضُهُ	بَعْضًا كَمَقْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ ^(٥)
فَلِيَّاتٍ مَأْسَدَةٌ تُسَلُّ سِيوفُهَا	بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِرْعِ الْخَنْدَقِ ^(٦)

ووقف ابن سلام عند ابن رواحة وتحدث عن حُسن إسلامه وأنه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين قتلوا يوم مؤتة وأُثبت له من هجائه لقريش قوله^(٧) :

نَجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَنَأْسِرُهُمْ	فِينَا النَّبِيُّ وَفِينَا تَنْزِلُ السُّورُ ^(٨)
وَقَدْ عَلِمْتُمْ بَأَنَا لَيْسَ غَالِبَنَا	حَىٰ مِنَ النَّاسِ إِنْ عَزَّوْا وَإِنْ كَثُرُوا
يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ إِنْ اللَّهُ فَضَّلَكُمْ	عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلًا مَالَهُ غَيْرٌ ^(٩)
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ	تَثْبِيتِ مُوسَىٰ وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا ^(١٠)

الনারق القصب . الأباء : أجمة القصب .
يصف أصوات المعركة .

(٦) أرض مأسدة : كثيرة الأسود . المذاد :
موضع بالمدينة . جزع الخندق : منقطع .

(٧) ابن سلام ص ١٨٨ .
(٨) عن عرض : عن ناحية ، يريد أنهم

لا يزالون من يضر بون .
(٩) غير : تفيير .

(١٠) يقصد الرسل .

(١) أحابيش قريش : حلف منهم تحالفوا
عند جبل يسمى حبشيا . الحاسر : الذي لا بيضة
له عكس المقنع .

(٢) النصية : الحيار والأشراف .

(٣) موجفين : مرعين . الجهام : السحاب
أفرغ مائه .

(٤) بيشة : مسبعة في واد كثير الشجر .
ظلع : من الظلع وهو العرج . يكئى بذلك عن سيرهم

البطى المظثن .

(٥) يرعبل : يمزق . الممعة : صوت لذب

وفي الأغاني أن حسناً وكعباً «كانا يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعبرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشدّ القول عليهم قولُ حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة»^(١). ومن المؤكد أن حسناً وكعباً كانا يرميان قريشاً عن بصيرة حين غلبت على هجائهما صورةُ الهجاء القديمة، لأنها هي التي كانت تؤذي نفوس القرشيين المكثمين ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزّون بها، ومن ثم اتجه حسان وكعب هذه الوجهة، فطعنا في الأحساب والأنساب، وعيرنا أسادتهم وفرسانهم بالفرار من الحرب وتوعداهم بالبلاء المستطير. وطبيعي لذلك أن لا نجد عندهما تأثراً واضحاً بمثالية القرآن الكريم في ذمّ المشركين، إذ نراه خالياً من الشتم والسباب والطعن في الأعراض والأحساب، وأيضاً فإنه لا يتوعد المشركين بحربٍ مبيّرة تأتي على الشيب والشبان، إنما يتوعدهم بالنار، ومع ذلك يفتح الأبواب واسعة لرحمة الله وغفرانه وتوبته على المشركين الذين يثوبون إلى عقولهم ويدخلون في دينه الخفيف.

وكان يَشْرِكُ شعراء قريش في التآليب على رسول الله وأنصاره وأصحابه نفر من شعراء اليهود نكثوا ما عاهدوه من الموادعة وحقوق الحوار^(٢) وأخذوا يهجونه هو والمسلمين ويخذّلون عنه قريشاً والعرب، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويرأى الله إلا أن يُتِمَّ نوره ولو كره الكافرون. وكان من رءوسهم في هذا الفساد كعب بن الأشرف^(٣)، وقد بلغ من سوء فعله أن كان يشبّب بنساء الرسول ونساء المسلمين، مما جعل محمد بن مسلمة يقتله في رهط من الأنصار^(٤). غير أن اليهود لم يرتدعوا وأخذوا يعملون سرّاً وجهراً على تقويض الدعوة المحمدية، فاضطر الرسول إلى إجلأهم عن المدينة، حتى إذا انتهينا إلى خلافة عمر رأيناه ببصيرته النافذة يأمر بإجلأهم عن الجزيرة.

(١) أغاني ١٣٨/٤.

(٢) السيرة النبوية (طبع الحلبي) ١٤٧/٢.

(٤) ابن سلام ص ٢٣٨ والسيرة النبوية ٥٤/٣ وما بعدها.

(٣) أغاني (طبعة الساسي) ١٠٦/١٩.

وكان كثير من شعراء العرب يقفون مع قريش باكين قتلها ومحرضين لها على كفاحها ضد الرسول مثل أمية بن أبي الصلت، ورتاؤه لقتلى بدر مشهور^(١) ومثل الأسود بن يعفر الذي أشاد بانتصارها في يوم أحد^(٢)، وقد ماتا في أثناء هذا الصراع. وكان يقف هذا الموقف نفر من شعراء القبائل التي لما تدخل في الإسلام. وكان يرد عليهم جميعاً شعراء المدينة متوعدين مهددين على شاكلة قول كعب بن مالك يهدد ثقيفاً بعد انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم على يهود خيبر^(٣) :

قَصِينَا مِنْ تِهَامَةَ كُلِّ وَتِرٍ وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَحْجَمْنَا السُّيُوفَا^(٤)
نَخِيرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ : دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا^(٥)
فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكَمٍ مَنَا أُلُوفَا^(٦)
فَنَنْتَزِعَ الْعُرُوشَ بَبْطِنٍ وَجَّ وَنَتْرِكُ دَارِكَمٍ مَنَا خُلُوفَا^(٧)
وَنُرْدِي اللَّاتَ وَالْعُرَى وَوَدَا وَنَسْلُبَهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا^(٨)

وتُفْتَحُ مكة في السنة الثامنة للهجرة، ولكن تظل للصراع بقية في شعراء هذيل، على نحو ما يمثلهم أبو خراش الهذلي في بكائه لدمية سادن العزري حين قتله خالد بن الوليد^(٩). وتظل بقية أخرى في ثقيف ومعاركها مع الرسول في حنين. على أنه بمجرد أن دخلت مكة في الإسلام أُدمجت الجزيرة كلها فيه، وأخذت وفودها تفد على الرسول معلنة اعتناقها الدين الحنيف. وفي هذه الأثناء نجد كثيراً من الشعراء وعلى رأسهم شعراء قريش يفرعون إلى ساحة الرسول الكريم

- (١) ابن سلام ص ٢٢١ والسيرة النبوية ٣/٣١٠ .
(٢) ابن سلام ص ١٢٣ .
(٣) ابن سلام ص ١٨٤ .
(٤) الوتر : الثار .
(٥) دوس وثقيف : قبيلتان كانتا تنزلان بالطائف .
(٦) الحاصن : المرأة العفيفة .
(٧) يقصد بالعروش قضبان الكرم .
وج : الطائف وفواحيها . والحى الخلوف :
الذي فارقه الرجال ، يقصد أنهم سيبيدوهم .
(٨) نردى : نهدم . اللات والعزى وود :
أصنام . القلائد : السوط . الشنوف : جمع
شف وهو القرط .
(٩) ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب)
١٤٨/٢ وأقظر الأصنام لابن الكلبي ص ٢٤
وما بعدها .

يطلبون عفوه ، وقصة كعب بن زهير مشهورة ، وقد مرت بنا الإشارة إليه ،
ومثله أنس بن زبيم ، فإنه كان هجا الرسول ، ثم تاب إلى رشده ، فقدم عليه
معتذراً ، وأنشده أبياتاً مدحه بها ، يقول في تضاعيفها^(١) :

وما حملت من ناقةٍ فوق رَحْلِها أبرُّ وأوفى ذِمةً من محمدٍ
وتنظم أبو سفيان بن الحارث أشعاراً كثيرةً يأسى فيها على ما فرط في جنب
الله ورسوله على شاكلة قوله^(٢) :

لعمرك إني يوم أحمل رايةً لتغلبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ محمدٍ
لكالمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أظلمَ ليله فهذا أوانُ حينِ أهدي وأهتدي

وكان كثير من الشعراء المسلمين يمتدح الرسول وهديه الكريم ، يتقدمهم
في ذلك شعراء المدينة ، وتُنسَبُ إلى الأعشى قصيدة في مدحِه^(٣) لا شك أنها
منحولة ، وتُنسَبُ لأبي طالب قصيدة مدحه بها يقول فيها :

وأبيضُ يُستَسقى الغمامُ بوجهه ربيعُ الينامِ عِصمةٌ للأرامِلِ

ويقول ابن سلام : «قد زيد فيها وطُوت»^(٤) وتُنسَبُ إلى عباس بن مرداس
فارس بنى سليم أشعار كثيرة يمدحه بها من مثل قوله^(٥) :

نبيُّ أتاننا بعد عيسى بنساطقٍ من الحق فيه الفضلُ منه كذلكا
أميناً على الفرقانِ أولِ شافعٍ وآخسر مبعوثٍ يجيب الملائكا

وتنظم كثير من المرثي في قتل المسلمين والمشركين ، وثناء فتية
لأبيها النضر بن الحارث ذائع مشهور . ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى بكاه
الشعراء بكاء حاراً ، ومن أرق ما رُئي به قصيدة حسان التي يستهلها بقوله^(٦) :

ما بالُ عيني لا تنام كأنما كُحِلتْ مآقيها بكُحْلِ الأرمِدِ

(١) الإصابة لابن حجر ١/٦٩ .

(٤) ابن سلام ص ٢٠٤ .

(٢) ابن سلام ص ٢٠٦ .

(٥) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٤/٣٠٥ .

(٣) أغاني (طبعة دار الكتب) ٩/١٢٥ .

(٦) ديوان حسان (طبعة هرشفيلد) ص ٥٨ .

وأكبر الظن أنه اتضح كيف أن الشعر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجرى على كل لسان ، ويكفى أن نرجع إلى سيرة ابن هشام فسرى سيوله تتدافع من كل جانب ، وحقاً فيها شعر موضوع كثير ، ولكن حينما يُصَفَّى وحين نقابل عليه ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم نجدنا إزاء ملحمة ضخمة تعاون في صنعها عشرات من الشعراء والشاعرات .

٣

الشعر في عصر الخلفاء الراشدين

عمَّت أضواء الإسلام في الجزيرة العربية كلها منذ السنة التاسعة للهجرة ، فقد أُعلن في الحج لهذه السنة أنه من شعائر الإسلام وأن الجزيرة دار المسلمين ، وبذلك قضى على الوثنية في أنحاءها قضاء مبرماً من جهة ، وأصبح الإسلام والعروبة شيئاً واحداً من جهة ثانية، وهذا هو السر في نشوء نظام الولاء حين فُتحت البلاد الأجنبية ، فإنه كان حتماً على من يسلم أن يلتحق بقبيلة عربية ويصبح كأنه فرد من أفرادها .

ولم يكده يتسلم أبو بكر الصديق مقاليد الخلافة حتى طغت على الجزيرة موجة حادة من الردة ، إذ امتنع كثير من العرب عن أداء الزكاة على شاتمهم وبعيرهم ، فاستشار الصديق كبار الصحابة فيما يصنع ، فكلهم قالوا : إنه لا طاقة لنا بقتال العرب جميعاً ، فقال : « والله لأن أخيراً من السماء فتخطفني الطير أحبُّ إلى من أن يكون رأبي هذا » ثم صعد المنبر فخطب الناس خطبة مشهورة قال فيها : « والله لو منعوني عيلاً بلجاهدتهم عليه » ثم نزل فوجه الجيوش إليهم بقيادة خالد بن الوليد وغيره . وكانت قبيلة أسد قد تجمعت حول متنبئ ظهر فيها يسمى طليحة بن خويلد ، وانضمت إليها غطفان . وعبثا حاول من حسن إسلامهم في القبيلتين أن يردوهما عن غيئهما ، ولم يلبث أن التقي بهما خالد عند بئر بُزَاحَة ، فنكّل بهما تنكيلاً شديداً ، استسلمتا على إثره . واتجه خالد تَوّاً إلى تميم ومنتبئتها سَجَاح فلم تلبث بعد مناوشات صغيرة أن أذعنت له ،

وقُتِلَ حينئذ مالك بن نويرة سيد بني يربوع ، ولأخيه متمم فيه مرث رابعة^(١) .
واتجه خالد بجيوشه نحو بني حنيفة في اليمامة ومنتبهاً مُسَيَّلَمَةً ، فالتقى بها في
« عقربة » ونشبت بين الطرفين معارك حادة استحرّ فيها القتل ، غير أن الدوائر لم
تلبث أن دارت على بني حنيفة ، فسقط منتبهاً في ميدان المعارك ، وأعلنت
استسلامها . وكان ذلك نصراً مؤزرًا لدين الله ، وسرعان ما دانت « البحرين »
بالطاعة ، واتجهت أسراب من هذه الجيوش إلى حضرموت ونجران واليمن ،
حيث التفّ الناس هناك حول متبنيّ يسمى الأسود العنسي ومتبنيّ آخر يسمى
قيس بن عبد يغوث ، ولم تلبث كل هذه الأنحاء أن استسلمت .

وإذا كانت معركة الشرك لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد خلّفت
ملحمة كبيرة فإن معركة الردة هي الأخرى قد خلّفت أشعاراً كثيرة ، بعضها
كان إنذاراً وتخويفاً ووعظاً من مثل قول الحارث بن مرة في وعظه لبني
عامر^(٢) :

بني عامرٍ إن تَنصُرُوا الله تَنصُرُوا وإن تَنصَبُوا لله والدين تُخَذَلُوا
وإن تُهزَمُوا لا يُنَجِّمَنَّ منه مهربٌ وإن تثبتوا للقوم والله تُقَتَّلُوا

وبعضها كان حماسة دينية يهتف بها المحاربون من المسلمين من مثل قول
أوس بن بُجَيَّر الطائي في موقعة بُزَاخَة^(٣) :

وليتَ أبا بكرٍ يرى من سيوفنا وما تَخْتَلِي من أذْرُعِ ورقابِ^(٤)
ألم تر أن الله لا ربَّ غيره يصبُّ على الكفار سَوَاطِ عذابِ

وللمرتدين أشعار مختلفة يستثيرون بها العزائم^(٥) .

(٢) الإصابة لابن حجر ٥٥/٢ وراجع
في أشعار أخرى الإصابة ٢٧٤/١ ، ٣/٢ ،
١٥٢/٢ ، ١٢٢/٥ .
(٣) الإصابة ٥٥/٢ .
(٤) تختل : تقطع .
(٥) تاريخ الطبري ٤٩٤/٢ والإصابة ١٢٥/٣ .

(١) انظر في متمم ورثائه لأخيه الأغاني
(طبعة الساسي) ٦٣/١٤ والشعر والشعراء
(طبع دار المعارف) ٢٩٦/١ والخزاعة
٢٣٤/١ ومعجم الشعراء للمرزباني (طبعة الحلبي)
ص ٤٣٢ والمفضليات (طبع دار المعارف)
ص ٢٦٣ ، ٢٧١ .

ورُئِبَ الصَّدُوعَ وعاد الحق إلى نصابه ، فرأى أبو بكر بثاقب بصيرته أن يدفع العرب إلى خارج جزيرتهم كى ينشروا الإسلام في آفاق الأرض ، فاندفعوا جميعاً يجاهدون في سبيل الله ويبتغون رضوانه ، وسرعان ما سقطت الحيرة وجنوبي العراق أمام جيوش المنى بن حارثة وخالد بن الوليد ، وجهز أبو بكر جيشين لغزو الشام ، أحدهما بقيادة عمرو بن العاص والآخر بقيادة يزيد بن أبي سفيان وشرجيل بن حسنة ، وانتصر الجيشان في فلسطين . ولم يلبث أن أمدهما أبو بكر بخالد بن الوليد ، وجعل له إمارة الجيوش ، فانتصر على أرطوبون في موقعة أجنادين كما انتصر في موقعة اليرموك ، وهو رافد من روافد نهر الأردن ، وحاصر دمشق ، واستطاعت جماعات من جيوشه أن تستولى على حمص . ويتوفى أبو بكر في السنة الثالثة عشرة للهجرة قرير العين بما أدى الله ولسوله ، وكان آخر ما تكلم به « رَبِّ تَوْفَّئِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ »^(١) ، وبكاه كثير من الشعراء^(٢) ومن خير ما قيل فيه قول حسان بن ثابت^(٣) :

إذا تذكرتَ شَجْوًا من أخى ثقةً فاذكرْ أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
التالى الثاقبى المحمودَ سيرته وأولَ الناس منهم صدقَ الرسلا
وثاقبى اثنين فى الغار المُنيف وقد طاف العدو به إذ صعَدَ الجبلا
وكان جبَّ رسولِ الله قد علموا خَيْرِ البرية لم يعدل به رجلا

وأوصى أبو بكر من بعده بالخلافة لعمر بن الخطاب ، فسار بأحسن سيرة مقتدياً بهدى الله ورسوله وخليفته الصديق ، لا يخاف فى الحق لومة لائم . وهو أول من دوّن الدواوين ورتّب الناس فيها على سوابقهم ، وأول من رتّب التاريخ العربى وجعله من الهجرة ، وأول من تلقب بأمر المؤمنين . وفتح الله له الفتوح ، وكان من أول أمره فى ذلك أن عزل خالد بن الوليد عن إمارة الجيوش فى الشام وولّى أبا عبيدة بن الجراح مكانه ، فأتمّ يعاونه خالد فتوح الشام ، وانطلق عمرو بن العاص بجيشه ففتح مصر . أما فى الشرق فكانت المعركة

(٣) ديوان حسان ص ٢٩ والبيان والتبيين

(١) الطبرى ٢/٦١٥ .

٣٦٢/٣ .

(٢) الطبرى ٢/٦١٧ والاستيعاب ص ٣٤٢ .

حامية الوطيس . وقد أمدَّ عمر المثنى بن حارثة بجنود يقودها أبو عبيد الثقفي ، ونشبت سلسلة من الوقائع عند قَسَس الناطف والبويب انتصر فيها المسلمون ، وبينما كان الفرس يستعدون لمعركة أخيرة هي معركة القادسية توفى المثنى فخلفه في قيادة الجيوش سعد بن أبي وقاص ، ومضى الفرس بهزيمة شديدة ، وقُتل قائدهم رستم في المعركة . وتقدم سعد إلى عاصمتهم المدائن فاستولى عليها . ولم يلبث الفرس أن تجمعوا في جلولاء شرقى دجلة ، ولكنهم هزموا هزيمة ساحقة . وانسحب يزدجرد ملك الفرس إلى إيران وتبعته الجيوش الإسلامية بقيادة النعمان ابن مقرن وتوفى فخلفه حذيفة بن اليمان . ولم تلبث هذه الجيوش أن استولت على نهاوند ثم أصفهان ثم إصطخر ، وعاش يزدجرد طريداً ، حتى أرسل إليه عامل خراسان لعهد عثمان من قتله في محبته الأخير .

وتلقانا في كل موقعة حربية شرقاً وغرباً أشعار حماسية كثيرة ، سنعرض لها عما قليل ، ونحيل إلى الإنسان كأنما الجزيرة كلها قد تحولت جيشاً يجاهد في سبيل الله ونشر الإسلام ، فقد أحسَّ العرب في عمق أن عليهم أن ينشروا الدين الخفيف في أنحاء الأرض . ومن غير شك كان المتخلفون من الشيوخ والنساء وغيرهما يحسون ألماً عميقاً لفراق ذويهم ، على نحو ما يصور لنا ذلك البريقي بن عياض الهذلي ، إذ يقول (١) :

وإن أمير شيخاً بالرجيع وولدةً وتصبحُ قومي دون دارهم مِصر (٢)

أسائلُ عنهم كلما جاء ركبٌ مقياً بأملحٍ كما رُبط اليعر (٣)

فما كنت أخشى أن أقيم خلافتهم بستة أبيات كما نبت العتر (٤)

وكان عمر ينهيه من لهم آباء شيوخ يعولونهم عن الهجرة براهم ، وسروى أن

المخبل السعدي جزع جزعا شديداً حين هاجر ابنه شيبان لحرب الفرس مع

سعد بن أبي وقاص ، وكان قد أسنَّ وضعف ، فاقتد ابنه فلم يملك الصبر

عنه ، ومضى إلى عمر فأنشده أبياتاً يقول فيها :

(١) ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) ٥٨/٣ وانظر أيضاً ١٩٧/٢ ، ١٩٩/٢

(٢) العتر : شجر له ورق صفار . حيث تجد لأسماء بن الحارث أشعاراً مماثلة .

(٣) اليعر : موضع . ولده : صبية .

(٤) خلافتهم : بعدهم .

إذا قال صحبي يا ربيعُ ألا ترى؟ أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيان أن ان يعقني تعقُّ إذا فارقتني وتَحُوبُ^(١)
فرقاً له عمر، وكتب إلى سعد يأمره أن يرد شيان إلى أبيه فردّه إليه ولم يزل
عنده حتى مات^(٢). وليس الخبَل وحده الذي فزع إليه يشكو هجرة ابنه، فقد
فزع إليه أيضاً أمية بن حُرثان بن الأسكر حين هاجر ابنه كلاب إلى حرب
الفرس، وكان مما أنشده فيه:

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتابَ الله إن حَفِظَ الكتابا^(٣)
إذا هتفتُ حمامةً بَطْنِ وَجٍّ على بَيضاتها ذكراً كلابا
تركتَ أباك مَرَعَشَةَ يدها وأمك ما تُسبغ لها شرابا
فأمر بإشخاصه إليه^(٤). ومن فزع إلى عمر أيضاً في ذلك أبو خراش الهذلي
حين هاجر ابنه مع المجاهدين إلى الشام، وقد أنشده شعراً مؤثراً، فأمر برده عليه
وأن لا يغزو من له أبٌ هرم إلا بعد أن يأذن له راضياً بهجرته^(٥).

ولعل في هذا كله ما يصور كيف كان يترامى شباب العرب على الجهاد
في سبيل الله، ومع هذا يأتي المستشرقون إلا أن يجعلوا تلك الفتوح الرائعة ابتغاء
الدنيا والغنائم^(٦) لا ابتغاء الله وثواب الآخرة، وربما كان من خير ما يرد عليهم
قول النابتغة الجعدى لامراته، وقد أظهرت تأثرها لهجرته في فتوح فارس^(٧):

يا ابنة عمي كتابُ الله أخرجني طوعاً وهل أمنعُ الله ما فعلا
فإن رجعتُ فربُّ الناس يرجعني وإن لحقتُ بربي فابتغني بدلا
ما كنتُ أعرجُ أو أعمى فيعذرني أو ضارعاً من ضنني لم يستطع حِولا^(٨)

(١) تحويب: تأثم.

(٢) راجع تاريخ الدولة العربية لفلوهوزن

(٣) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٣/١٩٠.

(٤) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ص ٢٥

(٥) والعقيدة والشريعة لجولد تسهر ص ١٣٧.

(٦) الشعر والشعراء ١٠٠/٢٥١ وقد ظلت هذه

الروح مسيطرة على الفاتحين في العصر الأموي،

انظر الطبري ٥/٤١٣.

(٧) انظر الطبري ٥/٤١٣.

(٨) ضارعا: ضاويبا نحيلاً. ضنى: مرض.

(١) تحويب: تأثم.

(٢) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٣/١٩٠.

(٣) يقصد ما في كتاب الله من رعاية الآباء

والبر بهم.

(٤) ابن سلام ص ١٦٠ والخزانة ٢/٥٠٥.

(٥) أغاني (سأسي) ٢١/٦٩ وديوان الهذليين

٢/١٧٠ وانظر في حالات مشابهة الأمالى

٢/٣٠٩ وذيله ص ١٠٩.

وكان عمر من وراء هذه الجيوش مثالا رائعا للعدل والتقوى والزهد في الدنيا . وما زال يسوس العرب سياسة مثالية ، حتى امتدت إلى جسده الطاهر يد أبي لؤلؤة الجوسى الآثمة في الظلام ، فطعنته بخنجر مسموم طعنات لأربع ليال يقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، ولم يلبث أن توفى بين بكاء المسلمين وتشجيعهم ، ومن رائع ما قيل فيه من رثاء قول جزء بن ضرار أخى الشماخ^(١) :

جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَزْقِ^(٢)
فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نِعَامَةٍ لِيُذْرِكَ مَا حَاوَلْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقُ
قَضِيَتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَيَّوَاتِقَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تَفْتَقِ^(٣)

وكان عمر وهو على فراش الموت قد جعل الخلافة شورى في ستة من أصحاب رسول الله توفى وهو عنهم راض ، وكانوا من المهاجرين الأولين ، وهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص . ووقع اختيارهم على عثمان ، ففضى بنفسه سياسة عمر في إتمام فتح إيران وإفريقية ، وأقر معاوية بن أبي سفيان على الشام ، إلا أنه عزل عمرو بن العاص عن مصر وولاهها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ففتح إفريقية . وما نصل إلى سنة أربع وثلاثين للهجرة حتى تندلع ثورة عنيفة على عثمان في الكوفة يقودها الأشتر النخعي وفي مصر يقودها محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر الصديق . وكان من أهم أسباب هذه الثورة ضعف عثمان ، إذ كان شيخاً كبيراً ، واستسلامه لأهل بيته من الأمويين وتوليته لهم كثيراً من الأعمال ، مما أحفظ عليه كبار الصحابة ومالهم موجدة . وكانت هناك أسباب وراء ذلك ، فإن عمر رأى أن يترك للجيش خمّس الغنائم وأن تستأثر الدولة بالفسء وهو الأرض الثابتة ، ومعروف أنها تركت لأصحابها على أن يؤدوا عنها إتاوة عادلة وأن يؤدوا الجزية إن لم يسلموا نظير حماية الجيش لهم وإعفائهم من

(١) ابن سلام ص ١١١ والأغانى ١٥٩/٩ (٢) البيهقي : الدواهي . تفتق : تشقق عن تمرها . والاستمارة واضحة .

(٢) الأديم : الجلد .

الواجبات العسكرية ، وكان كثير من المحاربين يرون أن يشتركوا الدولة في
النقمة ، ولكن صوته لم يرتفع في عهد عمر لقوة شخصيته ، حتى إذا كان
عهد عثمان بدأ التدمير يشتد ، وتطورت الظروف ، فاشتعلت الثورة عليه اشتعالا
أدّى إلى قتله في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة ، وبكاه كثير من
شعراء الصحابة^(١) ، من ذلك قول أيمن بن خُريم^(٢) :

ضَحَوْا بِعُثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ضَحَى وَأَيُّ ذَبْحٍ حَرَامٍ لَهُمْ ذَبَحُوا
إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهًا لَاقُوا أَثَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رَبِحُوا
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيَهُمْ بَسَفَحِهِمُ لِلدَّمِ الزَّكِيِّ الَّذِي سَفَحُوا

وكان على^٣ يعدُّ أكبر الشخصيات بين المهاجرين ، فبايعه الثوار وبايعته
المدينة ، ولكن هذه البيعة لم تُرض طليحة والزبير وانضمت إليهما السيدة عائشة
أم المؤمنين ، فأعلنوا سخطهم ، وولوا وجوههم نحو البصرة مستنفرين الناس
ضده ، وتبعهم على ، فنزل في الكوفة ، ولم تلبث الحرب أن نشبت بين الفريقين ،
وسرعان ما انتصر على في موقعة الجمل المشهورة ، وقُتِلَ طليحة والزبير وانسحبت
عائشة إلى المدينة . وكان على^٤ قد عزل معاوية ابن عم عثمان وواليه على الشام ،
فلم يصدع لأمره واعتبر نفسه وليّ دم عثمان ، فجهز الجيوش لحربه وانضم إلى
معاوية عمرو بن العاص وكثير من قريش . وسار إليه على^٥ بجموعه ، فالتقوا
على الحدود العراقية السورية في صِفِّين الواقعة على الضفة اليمنى للفرات ،
واحتدمت معركة عنيفة كاد فيها النصر أن يُكْتَسَبَ لعليّ ، غير أن معاوية
عمد - بمشورة عمرو بن العاص - إلى الخيلة ، إذ جعل طائفة من جنوده
تسرِّع المصاحف على أسننة رماحها طالبة الاحتكام إلى القرآن ووقَّف هذه الحرب
المبيرة للمسلمين ، وتنبه على^٦ للخيلة غير أن كثرة جيشه أجبرته على وقْف القتال
والدخول مع معاوية في مفاوضات . واتفق الفريقان على اختيار حكيمين ،
هما عمرو بن العاص عن معاوية وأبي موسى الأشعري عن على ليحكما بينهما
على أساس من القرآن . واستطاع عمرو أن يُقنِعَ أبا موسى بخلع على ومعاوية

(١) انظر الاستيعاب ص ٤٩٢ والكامل .

٤٤٧/٣ وما بعدها .

المبرد (طبعة رايت) ص ٤٤٤-٤٤٥ والطبرى

(٢) المبرد ص ٤٤٥ والاستيعاب ص ٤٩٣ .

معاً . ولم يلبث مركز عليّ أن تززع في العراق فإن طائفة كبيرة من جيشه كانت قد أسرع منذ قبوله التحكيم إلى الخروج عليه ، واتخذت معسكراً لها في حرّوراء بالقرب من الكوفة وبايعت عبد الله بن وهب الراسبي بالخلافة . فلما ظهرت نتيجة التحكيم انضم إليها كثير من أتباع علي . وعبئاً حاول إقناعهم بخطئهم ، ولم ير أخيراً بدأً من حربهم ، فالتقى بهم عند مصب قناة النهر وان في دجلة وهزمهم هزيمة ساحقة ، إلا أن بقية منهم نجت ، وكان منهم عبد الرحمن ابن ملجم الذي تحيّن منه فرصة ، وقتله غيلة ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة أربعين للهجرة ، وقد بكاه كثير من أصحابه (١) ، وعلى رأسهم أبو الأسود الدؤلي إذ يقول (٢) :

أفى شهر الصيام فجعثمونا بخير الناس طراً أجمعينا
قتلم خير من ركب المطايا وخيسها ومن ركب السفينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت بأنك خيرها حسياً وديننا

وقد كثرت الأشعار في هذه الحروب الأهلية منذ الثورة على عثمان ، فقد كان بعض الثائرين عليه والساخطين بصورون ثورتهم وسخطهم في أشعار كثيرة (٣) ، ويُقتل عثمان ، ويبيكه كثيرون وخاصة من بنى أمية . وقد ذهبوا يتواعدون علياً ويهددونه على شاكلة قول الوليد بن عقبة يخاطب بنى هاشم (٤) :

وإنا وإياكم وما كان منكم كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه
هم قتلوه كى يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرزبة

وقد مضى يجرّض معاوية على الأخذ بثأره في أشعار كثيرة (٥) . وتطورت

(١) انظر في مراثيه الاستيعاب ص ٤٨٥ -

٤٨٦ والطبرى ٤/١١٦ .

(٢) الأغاني (طبعة دار الكتب) ٣٢٩/١٢

والطبرى ٤/١١٦ وخيسها في البيت الثاني :

ذالها .

(٣) انظر الاستيعاب ص ٤١٠ .

(٤) الأغاني (طبعة دار الكتب) ١٢٠/٥

والكامل للمبرد ص ٤٤٤ .

(٥) انظر الأغاني (طبع دار الكتب)

١٢٢/٥ وما بعدها والاستيعاب ص ٦٢٢

والطبرى ٣/٤٤٩ .

الأمر . ونسبت وقعة الجمل بين علي وبين طلحة والزبير وعائشة ، ودوت
في هذه الوقعة أشعار حماسية كثيرة^(١) من مثل قول القائل^(٢) :

نحن بنو ضَبَّةَ أصحابُ الجملِ نُنْعَى ابنَ عَفَّانَ بأطرافِ الأَسَلِ
ننازل الموتَ إذا الموتُ نَزَلَ والموتُ أشهى عندنا من العَسَلِ

والتقى علي بمعاوية في صفين ، وحمى وطيس المعارك ، وتنادى الشعراء
بهددون ويتوعدون ، وكلُّ يعتقد أن الحق في جانبه ، من مثل قول أبي الطُّفَيْلِ
عامر بن وائلة يصف بعض أنصار علي^٣ :

كهولٌ وشبانٌ وساداتٌ معشرٌ على الخيلِ فرسانٌ قليلٌ صدودها
شعارهمُ سِما النبيِّ ورايةٌ بها انتقمُ الرحمنُ ممن يكيدها
وردَّ عليه خزيمة الأسدى يصف جيش معاوية^(٤) :

ثمانون ألفاً دينُ عثمانَ دينهمُ كتابُ فيها جِبْرِيلُ يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمُتُ ففي النارِ سُقْيَاهُ هناك صديدها

ويفيض كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم بأشعار كثيرة اندلعت فيها
نيران العصبية القبلية^(٥) ، وقد يكون دخلها انتحال ووضع واسع ، ولكن في
تاريخ الطبري وفي كتب الأدب وكتب الصحابة ما يكفي لبيان ما انزل على
الألسنة من أشعار ملتمة^(٥) . وقد تلت ذلك وقعة النهروان بين علي والخوارج ،
ومنذ خروجهم وشعرهم لا يتخمد له أوار . ومن غير شك أذكت كل هذه
الأحداث جذوة الشعر العربي لإذكاء وأشعلتها إشعالا .

(١) تاريخ الطبري ٥٢٢/٣ وما بعدها . نشر المؤسسة العربية الحديثة ص ١٣٧ ، ١٣٢ ،

(٢) الطبري ٥٢٧/٣ .

(٣) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٥ / ١٤٩ .

(٤) وقعة صفين (بتحقيق عبدالسلام محمدرون)

(٥) ٣٧٦ ، ٣٤٧ ، ٤٨٧ وفي مواضع متفرقة .

(٥) انظر الطبري ١٦/٤ وما بعدها

شعر الفتوح

خرج العرب من جزيرتهم بعد حروب الردة يجاهدون في سبيل الله دولتي
الفرس والروم . ففضوا على الأولى ، واستولوا على أهم ولايتين للثانية ، وهما الشام
ومصر . وكانوا في أثناء هذا الجهاد ينظمون أناشيد حماسية مدوية ، يتغنون
فيها بانتصاراتهم ويتمدحون بشجاعتهم وما يؤدُّون لله ودينه . ومن الصعب أن
نعرِّض كل ما نظموه في مواقعهم المختلفة ، إنما نلم بطرف منه ، ولنقف
قليلاً عند موقعة واحدة في الشرق هي موقعة القادسية ، وفيها يلعب اسم
أبي محجن الثقفي^(١) ، وكان مولعاً بالخمير فحبسه سعد بن أبي وقاص ، حتى
إذا احتدمت المعركة توسل إلى سلمي زوج سعد أن تطلقه - على أن يعود إلى
قيده - ليسهم في شرف المعركة ، فأطلقته وأبلى فيها بلاء حسناً ، وعاد
إلى سجنه وهو ينشد^(٢) :

لقد علمت ثقيفٌ غير فخرُ بآننا نحن أكرمهم سيوفنا
فإن أحبسَ فقد عرفوا بلائنا وإن أُطلقَ أجرعهم حُتوفنا
وكان حول أبي محجن فرسان كثيرون قصفوا الفرس وأطاحوا بروع أبطالهم ،
وهم يتصايحون بالشعر الحماسي ، منهم عمرو بن معديكرب الزبيدي^(٣) ، وكان
من أبطال الجاهلية وفرسانها وأسلم ، وكانت له آثار مشهورة في القادسية واليرموك
ونهاوند ، ومن شعره^(٤) :

والقادسية حين زاحم رُستم
الضاربين بكل أبيضٍ مخدّم
كنا الحماة بهن كالأشطان^(٥)
والطاعنين مجامع الأضغان^(٦)

٤٦٠/٣ ومعجم الشعراء للمرزباني (طبعة
الجلبي) ص ١٥ ومعاهد التنخيص ٢٤٠/٢
والعيني ٣٧٩/١ .
(٤) ذيل الأمل ص ١٤٦ .
(٥) الأشطان هنا : الجن والمردة .
(٦) الأبيض : السيف . المخدّم : القاطع .
مجامع الأضغان : القلوب .

(١) انظر في ترجمة أبي محجن الأغاني (طبعة
السبي) ١٣٧/٢١ والشعر والشعراء ٣٨٧/١
والإصابة ١٧٠/٧ والخزانة ٥٥٠/٣ وما بعدها
والاستيعاب ص ٦٨٢ .
(٢) أغاني ١٤٠/٢١ .
(٣) انظر في ترجمته كتب الصحابة وأغاني
(دار الكتب) ٢٠٨/١٥ والشعر والشعراء ٣٣٢/١
وذيل الأمل ص ١٤٥ والخزانة ٤٢٢/١ ،

ومنهم بشر بن ربيعة الحشعمي، وله يصور بلاءه وبلاء قومه في مواقع القادسية^(١) :

تذكّر - هداك الله - وَقَعَ سِوْفُنَا بَبَابِ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرُ عَسِيرٌ^(٢)
عَشِيَّةً وَدَّ الْقَوْمَ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَارِ جَنَاحِي طَائِرِ فَيْطِيرِ
إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ ذَلَفْنَا لِأُخْرَى كَالْجِبَالِ تَسِيرٌ^(٣)
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجْمِينَ كَأَنَّهُمْ جَمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهَنَ زَفِيرٌ^(٤)

ومن له بلاء حسن في القادسية قيس بن المكشوح المرادي ابن أخت عمرو بن معديكرب، وهو الذي قتل رسم قائد الفرس في تلك المعارك، وله يصور ذلك^(٥) :

جَلِبْتُ الْخَيْلَ مِنْ صَنْعَاءَ تَرْدِي بِكُلِّ مَدَجِّجٍ كَاللَيْثِ سَامِيٌ^(٦)
إِلَى وَادِي الْقُرَى فِدْيَارِ كَلْبٍ إِلَى الْيَرْمُوكِ فَالْبَلَدِ الشَّامِي
وَجِئْنَا الْقَادِسِيَّةَ بَعْدَ شَهْرٍ مَسْوَمَةٌ، دَوَابِرُهَا دَوَامِيٌ^(٧)
فَنَاهَضْنَا هُنَالِكَ جَمْعَ كَسْرِي وَأَبْنَاءَ الْمَرَازِبَةِ الْكِرَامِ^(٨)
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ جَالَتْ قَصَدْتُ لِمَوْقِفِ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
فَأَضْرَبُ رَأْسَهُ فَهَوَى صَرِيعاً بِسَيْفٍ لَا أَفْلَّ وَلَا كَهَامِ^(٩)
وَقَدْ أَبْلَى الْإِلَهَ هُنَاكَ خَيْرًا وَفَعَلْتُ الْخَيْرَ عِنْدَ اللَّهِ نَامِي

ومن حضر القادسية الأسود بن قُطَيْبَةَ، وله فيها أشعار كثيرة^(١٠). وعمرو بن

- (١) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٥/٢٤٣ .
(٢) قديس: يريد القادسية أو موضع بجانبها.
(٣) دلفنا: تقدمنا .
(٤) واجم: من النجوم وهو السكوت مع كظم الغيظ .
(٥) فتوح البلدان للبلاذري (طبع المطبعة المصرية بالأزهر) ص ٢٦١ .
(٦) تردى الخيل: ترحم الأرض بجوارفها .
(٧) مسومة: معلمة. الدوابر: العراقيب .
دوامي: ملطخة بالدم .
(٨) المرازبة: رؤساء الفرس .
(٩) أفل: مثلم . كهام: كليل لا يقطع .
(١٠) الإصابة ١/١٠٨ .

شأس الأسدي^(١)، وكان كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، وله يذكر قتل
رستم^(٢):

قتلنا رُستماً وبنيه قسراً تثير الخيل فوقهم الهيالا^(٣)
وفرَّ الهرمزان ولم يحامي وكان على كتيسته وبالا^(٤)

وشهد القادسية أيضاً عروة بن زيد الخيل، وله فيها شعر كثير على شاكلة قوله^(٥):

برزت لأهل القادسية معلماً وما كلُّ من يَغشى الكربة يُعلم
ومن الشعراء البارزين الذين شهدوها ربيعة بن مقروم الضبي^(٦)، وقد ختم
الجاحظ كتابه «الحيوان» بأبيات له يذكر فيها بلاءه حينئذ، يقول فيها^(٧):

وشهدت معركة الفيول وحولها أبناء فارس بيضها كالأعبل^(٨)
مترسبلى حلق الحديد كأنهم جرب مقارفة عنية مهمل^(٩)

والأبيات من قصيدة رواها أبو الفرج في أغانيه، وهو فيها يتحدث بجانب
صنيعه في تلك الحرب عن اقتحامه لحوانيت الخمارين ويفخر بأنه يسقى
صاحبه الصبوح، ونحن نعرف أن الإسلام حرم الخمر، ومن ثم كنا نقطع
بأن القصيدة تتألف من جزئين قيل أولهما في الجاهلية، وقيل ثانيهما في
الإسلام، وسرى عند حسان بن ثابت قصيدة على هذه الشاكلة حين نترجم
له في الفصل التالي. ومن ذلك قصيدة لعبيدة^(١٠) بن الطيب، وهو من الشعراء
المجيدين الذين أبلوا في حروب القادسية والمدائن، ونراه يستهلها بقوله^(١١):

- | | |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (١) انظر ترجمته في الأغاني (طبعة دار الكتب) ١٩٦/١١ والشعر والشعراء ٣٨٩/١ وابن سلام ص ١٦٤ والاستيعاب ص ٤٥٤ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٢٢. | (٧) الحيوان (طبعة الحلبي) ٢٦٣/٧. |
| (٢) الطبري ٥٠/٣. | (٨) البيض: الخوذ. الأعبل: حجر أبيض. |
| (٣) الهيال: ما ينهال من الفبار. | (٩) يشبه الفرس بإبل جرباء. مقارفة: من القراف وهو داء يقتل البعير. العنية: طلاء للجرب، وأراد نفس الإبل الجربي. والمهمل: الذي يهمل الإبل في المرعى. |
| (٤) الهرمزان: الكبير من حكام الفرس. | (١٠) انظر في ترجمته الأغاني (طبعة السامى) ١٦٣/١٨ والشعر والشعراء ٧٠٥/٢ والإصابة ١٠١/٥ والموشح ص ٧٥. |
| (٥) الأغاني (طبع السامى) ٥١/١٦. | (١١) انظر القصيدة في المفضليات (طبعة دار المعارف) ص ١٣٥. |
| (٦) انظر ترجمته في أغاني (سامى) ٩٠/١٩ والشعر والشعراء ٢٧٩/١ والإصابة ٢٢٠/٢ والخرانة ٥٦٦/٣. | |

هل جبل خَوْلَةٌ بعد الهجر موصولٌ أم أنت عنها بعيدُ الدار مشغولٌ
ويمضى فيذكر جهاد المسلمين للفرس ، يقول :

يقارعون رءوسَ العُجمِ ضاحيةً منهم فوارسٌ لا عَزْلٌ ولا مِيلٌ^(١)
ويحدثنا عن هجرته مع قومه وأنهم إنما يبتغون ثواب الله ، يقول :

نرجو فواضِلَ ربٍّ مَنِيْبُهُ حَمْنٌ وكل خيرٍ لديه فهو مقبول
ولكننا نُصدِّمُ في آخر القصيدة بوصفه المسهب لمجلس شراب ، ومن ثمَّ كنا
نقطع بأن للقصيدة أصلاً قديماً يتصل بحياة الجاهليين الوثنية وما كانوا يحدون من
خمر . وقد أضيفت إلى هذا الأصل قطع جديدة ، تتصل بالهجرة في سبيل
الله ورسوله ووصف معارك العرب مع الفرس .

وعلى هذا النحو نستطيع دائماً أن نجتمع كثيراً من الأشعار التي نُظمت في
كل معركة ، سواء مع الفرس أو مع الروم ، وإن ما تطفح به كتب الصحابة
مثل الاستيعاب والإصابة وكتب التاريخ مثل الطبري وكتب الأدب مثل
الأغانى وكتب الجغرافية مثل معجم البلدان لياقوت ليؤلف للعرب في الفتوح
ملحمة ضخمة . ولم تكن كلها أشعاراً حماسية ، ففيها مرث رائعة لبعض
من كانوا يفقدونهم ، من ذلك قصيدة كثير بن الغريزة التيمي يرثى بها من
أصيبوا في معارك الطالائق وجوزجان لعهد عمر بن الخطاب ، وفيها يقول^(٢) :

سَقَى مُزْنَ السحابِ إذا استهلَّتْ مصارعَ فتيةٍ بالجوزجانِ
وما بي أن أكون جَزِعْتُ إلا حنينَ القلبِ للبرقِ اليماني
ورُبُّ أخٍ أصاب الموتُ قبلي بكيئٌ ولو نُعيْتُ له بكاني

وعبروا في أثناء ذلك عن حنين بالغ إلى ديارهم وأهلهم . ويجانب هذا الحنين
والرثاء نجد بعض الشعراء يتحدثون عن بلائهم في المغازي بعامة ، على نحو

حيث سرد أبو الفرج القصيدة في ترجمته وانظر
فيه الإصابة ٣١٨/٥ والخزانة ١١٨/٤ ومعجم
الشعراء ص ٢٤٠ .

(١) يقارعون: يضاربون . العجم : الفرس .
العزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه .
الميل : جمع أميل وهو الذي لا يحسن ركوب الخيل .
(٢) أغاني (طبعة دار الكتب) ٢٧٨/١١

ما نجد عند زياد بن حنظلة في وصفه لمغازي الشام لعهد عمر وما أفاءه الله على المسلمين^(١) ويروون أنه كان لأوس^(٢) بن مخرم « قصيدة طويلة ذكر ما كان فيها من بلائهم في الفتوح وفخر فيها بقريش لم يقل أحد أحسن منها » ومن قوله فيها :

محمَّد خيرٌ من يمشى على قَدَمٍ وكان صافيةً لله خلصانا
ويمكن أن نضم إلى هذه الأشعار شكوى بعض الجنود من الولاة والعمال حين يخونون فيما اتسمنوا عليه ، على نحو ما نجد عند يزيد بن الصعق ، فقد أرسل بشكوى طويلة إلى عمر بن الخطاب من أصحاب الحراج ، يقصُّ عليه كيف أثروا ثراء غير مشروع من أعمالهم التي يتولونها وما يأخذون لأنفسهم من المغازي ، وفيها يقول^(٣) :

نؤوبُ إذا أبوا ونغزو إذا غزوا فأنى لهم وفرٌ وليس لنا وفرٌ
وقد وصفوا كثيراً مما شاهدوه في فتوحهم من المعاقل والحصون والحيوان كالفيل .
وتحدثوا عما نزل بهم من طواعين^(٤) .

وهناك أشياء لا بد أن نلاحظها في هذه الأشعار الكثيرة التي رويت عنهم في مغازيهم وفتوحهم . لعل أهمها أنها طبعت بطابع الآداب الشعبية ، سواء من حيث نسيجها العام أو من حيث قائلوها ومن نسبت إليهم . أما من حيث النسيج فإنها لا تبلغ من المائة مبلغ الأشعار التي نسبت في العصر نفسه إلى الشعراء المحوِّدين ، وأما من حيث القائلون فإن كثيراً منهم يكاد يكون مجهولاً ، لسبب بسيط وهو أنه من عامة الجنود . ومن ثمَّ اختلف الرواة في نسبة كثير من الأشعار إلى أصحابها . ويكثر أن يرسل الراوي الشعر إرسالاً بدون نسبه إلى شاعر بعينه ، وينصُّ الطبري على قطعتين كانت تتجاوب بهما الآفاق في الجزيرة العربية ولا يعرّف من نظمهما . ويعقب عليهما بقوله : « وسَمِعُ بنحو

(١) طبرى ١٠٨/٣ . مواضع متفرقة والموضح ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) انظر ترجمته في الأغاني (طبعة) .

(٣) فتوح البلدان ص ٣٧٧ .

(٤) الحيوان ٤/١٣٧ والإصابة ٣/١٤٠، ٥/٦٠

والإصابة ١/١١٨ وابن سلام ص ٤٤٥ وفي

ذلك في عامة بلاد العرب^(١) . وكأن طائفة من شعر الفتح تحولت إلى ما يشبه الأمثال التي يبدعها الشعب ، فناظمها لا يعرف كما لا يعرف مرسل المثل لأنه من أبناء الشعب وأبناء الشعب قلما ذُكروا أو يُجَدُّوا بل إنه لا يعنيه أن يذكروا أو يمجّدوا ، إذ هم آخرون بهم بهذا الفضل .

ويسود في هذا الشعر الإيجاز ، فهو شعر اللمحات السريعة والمواقف الحافظة ، وجمهوره لذلك مقطوعات قصيرة ، يجري فيها الشاعر على سجيته دون تدقيق في معنى أو تنقيح للفظ أو التماس وزن أو قافية . إنه يعبر عن خاطر التحم بصدوره دون معاناة أو مكابدة ، ويرى به في سرعة كما يرى بسهمه أو يضرب بسيفه . غير مفكر في تنقيح ولا في تصفية أو تهذيب ، ولذلك كانت تشيع فيه البساطة وعدم التكلف لما يعترض صاحبه من شواغل الجهاد التي تحول بينه وبين إطالة الفكرة كما تحول بينه وبين المعاودة للفظ وتجويده وتحبيره .

وملاحظة أخيرة ، وهي أن قصصاً كثيراً عن أبطال الفتح وجهادهم في حروب الفرس والروم أضيف إلى هذه الأشعار . وقد حمل لنا ياقوت في معجمه كما حملت كتب التاريخ والأدب أطرافاً منه كثيرة . ومن غير شك خضع هذا العمل كله لخيلة القصّاص فزادوا في القصص والأشعار ما اتسع له خيالهم . ولكن مهما يكن فلهذا كله أصل صحيح ، وهو أصل ضخم إذ كان الشعر يتدفق على ألسنة الفاتحين ، وكانوا ينشدونه في كل موقف وكل معترك ، مقتصدين له حيناً وراجزين أحياناً أخرى ، وطبيعي أن يشيع فيه الرجز ، لأنه كان فعلاً الوزن الشعبي الذي يتنظم فيه عامة العرب .